

المقاربة السوسيولوجية في البحوث الأكاديمية ومعوقات تطبيقها

sociological approach in academic research and the obstacles to its application

صغير بيرم سعيدة^{*1}

¹ جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر)، الايميل saida.seghirbirem@univ-biska.dz

تاريخ الاستقبال: 2023/04/16؛ تاريخ القبول: 2024/07/31؛ تاريخ النشر: 2025/02/25

ملخص: مما لا شك فيه أن المقاربة النظرية من أهم الإجراءات في البحث العلمي فهي تساعد الباحث في فهم الظاهرة المراد دراستها عبر كامل خطوات البحث العلمي، فهي تزوده بالترساة المفاهيمية المنظمة التي تحدد العلاقات بين المتغيرات و التنبؤ بالظاهرة ، بالإضافة لكونها تزود البحث بالفرضيات التي تعتبر الركائز الأساسية في توجيه البحث . وعلى هذا الأساس سنحاول من خلال هذه الدراسة التعرف على المقاربة السوسيولوجية وهذا بتقديم تعريف لها وكذا إبراز أهميتها في البحوث الأكاديمية مع تحديد معوقات تطبيقها .

الكلمات المفتاح : البحث العلمي، المقاربة السوسيولوجية، البحوث الأكاديمية، معوقاتها .

Abstract: There is no doubt that the theoretical approach in one of the most important procedures in scientific research .It help the researcher to understand the phenomenon to be studied through all the steps of scientific research .It provides him with the organized conceptual arsenal that defines the relationships between variables and predicts the phenomenon research . On this basis ,we will try,through this tudy,to identify the sociological approach,by providing a definition for it,as well as highlighting its importance in academic research ,while identifying the abstacles to its application.

Keywords: scientific research, sociological approach, academic research ,its obstacles.

* المؤلف المرسل . صغير بيرم سعيدة، saida.seghirbirem@univ-biska.dz.

أولاً: مقدمة

إن الحديث عن البحوث السوسيولوجية يبدو في الوهلة الأولى من الأمور التي يسهل على الباحث القيام بها وإجرائها، لكن ما يجعل الكثير من الطلبة والباحثين ينتابهم القلق أثناء إنجاز بحوثهم وأعمالهم الأكاديمية هو توظيف النظرية السوسيولوجية أو إيجاد المقاربة المناسبة لمواضيعهم محل الدراسة، لكن لا بد على الباحث في حقل علم الاجتماع أن يضع موضوع دراسته في قالب سوسيولوجي حتى يسهل عليه فهم الظاهرة محل الدراسة وتكون كذلك دراسته ذات مصداقية، متبعا في ذلك خطوات البحث السوسيولوجي وعدم الفصل بين الجانب النظري للدراسة عن الجانب الميداني التطبيقي.

وعليه سنحاول وضع الخطوات التي يجب على الباحث اتباعها في توظيف المقاربة النظرية، “لأنه لا بد على الباحث عند تصميم بحثه أن يضع خطة متناسقة، ومشروعا متكاملا يوضح الأهداف التي يرمي إليها البحث، والمناهج والأدوات التي يمكن استخدامها لتحقيق هذه الأهداف فوضع تصميم جيد لجميع خطوات البحث، وأن يكون متسلسلا بمعنى عدم الفصل بين خطواته لأن هذه الأخيرة تكون متداخلة مع بعضها البعض، من شأن كل ذلك أن يساعد الباحث للوصول إلى نتائج علمية دقيقة، وكل هذه الخطوات يجب أن تبرز فيها المقاربة النظرية المتبناة، ومن أجل ذلك ومن هذا المنطلق جاءت دراستنا لتوضيح كيفية توظيف المقاربة النظرية في البحوث السوسيولوجية، بغية إزالة اللبس والغموض الذي قد يصادف الطلبة والباحثين في إجراء بحوثهم الأكاديمية.

ثانياً: مفاهيم الدراسة

1/ مفهوم البحث العلمي:

__ لغة: البحث في اللغة مصدر الفعل بحيث الذي يعني فتش ويقال بحث عن الشيء: فتش عنه فالبحث يعني التفتيش أو التنقيب والاكتشاف.¹

__ اصطلاحاً: هو عملية الوصول إلى حلول يمكن اعتمادها في حل مشكلة أو مشكلات معينة عن طريق جمع البيانات بطريقة مخططة منظمة، ثم تحليل تلك البيانات، وتفسيرها والبحث عن أدوات تقدم المعرفة، ودفع عملية التطور، وتمكين الإنسان من التوافق مع بيئته بطريقة أكثر فعالية، وتمكينه من تحقيق أغراضه، وإيجاد حلول لمشكلاته وصراعاته²، ويعرف أيضاً انه عملية علمية تجمع لها الحقائق والدراسات، وتستوفي فيها العناصر المادية والمعنوية حول موضوع معين دقيق في مجال التخصص، لفحصها وفق مناهج علمية مقرر، يكون للباحث منها موقف معين، لتوصل من كل ذلك إلى نتائج جديدة، هذه النتائج هي ثمرة البحث، والغاية التي ينشدها الباحث من وراء العملية العلمية الفكرية، سواء كانت نظرية، أو تجريبية، وهي ما يعبر عنها علمياً بالإضافة الجديدة، المطلوبة في البحوث العلمية العالية³، كما يعرف هو أسلوب منظم منطقي، موضوعي، دقيق يتوصل إلى نتائج بناء أسس وأدلة، ويعرف كيرلنجر البحث العلمي على انه منظم، مضبوط وامبريقي، وهذه خصائص البحث العلمي واستقصاء ناقد لفرضيات تتعلق بظاهرة طبيعة.⁴

وإجرائياً: أن البحث العلمي هو عملية منظمة تتسم بالدقة والموضوعية والعلمية ذات أهداف محددة تستخدم بأساليب علمية مخططة، وأدوات تتسم بالموضوعية والصدق والشمول تؤدي إلى نتائج علمية يمكن قبولها وتعميمها، واعتمادها في حل المشكلة المبحوثة أو الإجابة عن تساؤلات الباحث.

2/ الباحث العلمي:

يعرف الباحث العلمي بأنه هو المخطط والمنظم والمنفذ والموجه لمختلف مراحل البحث العلمي، وصولاً إلى نتائج العلمية والمنطقية. ويتميز البحث بصفات شخصية منها: الخيال والأصالة- المثابرة- سعة الأفق- نقد الفكرة أو العمل- التواضع- الأخلاق- الحذر....⁵

3/1- خصائص البحث العلمي:

يمكن تلخيص خصائص البحث العلمي بشكل عام على الوجه التالي:

- انه منظم يهدف لاستقصاء ظاهرة معينة.

- انه استقصاء هادف، يفسر ويوضح الظاهرة المدروسة.
- انه منطقي وموضوعي.
- يعتمد على الخبرة والملاحظة أو الأدلة الاميريقية.
- يوجه للإجابة على أسئلة معينة وحل المشكلات.
- إن البحث لا يهدف للوصول إلى أجوبة تسر الباحث، بل للوصول إلى الحقيقة. فالبحث هو عملية نحاول من خلالها الوصول بشكل منظم على بيانات معينة للإجابة على سؤال أو حل مشكلة أو فهم أعمق لظاهرة معينة، ولهذا فإن البحث من وجه نظر ليبيدي له خصائص معينة أهمها:
- انه ينشأ من السؤال أو المشكلة.
- يقسم المشكلة الرئيسية إلى مشكلات فرعية يمكن التحكم فيها وإدراكها.
- يتم توجيه البحث بواسطة مشكلة بحثية محددة، أو من خلال سؤال أو فرضية.
- يتقبل افتراضات معينة.
- يتطلب جمع وتفسير بيانات في محاولة لحل المشكلة.⁶

4/1- أهمية البحث العلمي:

من أهمية البحث العلمي انه المثري للعلوم كما أن العلوم هي المثري للمعارف وهذا الأمر يجعل العموم أوسع دائرة من البحوث والمعارف أوسع دائرة من العلوم وتوضح أهمية البحث العلمي بإثرائه العلمي باكتشاف وتوليد الفكرة من الفكرة وتطوير الكل بالجزء الذي يتولد منه والرهان الذي يقوي البحث العلمي بالحجة والنقد البناء الذي يمدد القوة العلمية ويخرجه من دوائر السكون ليحدث النقلة ويمتد إلى صناعة المستقبل الأفضل والأجود والأحسن.⁷

5/1- أهداف البحث العلمي:

- يهدف البحث العلمي إلى تحقيق عدة أهداف من أهمها:
- فهم قوانين الطبيعة والسيطرة عليها، وتوجيهها لخدمة الإنسان.
- دراسة الظواهر المختلفة واستنباط القوانين عامة أو نظريات تفسر تلك الظواهر أو العلاقات التي تحكمها، ومن ثم إمكانية التنبؤ بها والتحكم فيها.
- إيجاد حلول للمشكلات المختلفة التي تواجه الإنسان في تعامله مع البيئة التي يعيش فيها.
- زيادة المعارف في كل المجالات العلمية سواء في العلوم الطبيعية أو في العلوم الاجتماعية والإنسانية.
- تزويد متخذي القرار سواء في الأمور السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية بأسس سلمية يمكن الاعتماد عليها في قراراتها.⁸

6/1- معايير ومواصفات البحث العلمي:

- إن اختيار موضوع البحث العلمي يتطلب من الباحث أن يتأمل جيدا وان يكون متأنيا عند الاختيار وان يخضع هذا الموضوع لعدة معايير ومواصفات فان طابقتها فيكون قد وفق في اختيار موضوع البحث، وتتمثل هذه المعايير في:
- أن يكون موضوع البحث جديدا: إن حداثة موضوع البحث دائما تكون مصدر قلق الباحثين، لكن الأمر ليس بالصعب العسير، فعلى الباحث أن يختار قدر المستطاع موضوعا جديدا لم يطرقه احد من قبل.
- أن يكون موضوع البحث ممكنا: يجب على الباحث أن يتأكد انه يستطيع أن يقوم بالبحث في الموضوع الذي اختاره، لأنه قد يكون هناك بعض الأسباب التي قد تحول دون إمكانية إجراء البحث منها ما يتعلق بظروف البحث أو بظروف الباحث. لذا فعلى الباحث أن يتأكد من الموضوع الذي اختاره يمكن البحث فيه، وتوافر المادة العلمية.

- أن يكون الموضوع محددا: إن تحديد الموضوع البحث تحديدا واضحا أمر لا اختلاف عليه حيث على الباحث أن يضع عنوانا جامعا لكل ما يحتوي عليه وينبغي ألا تطول أو تختصر في عنوان البحث، ولكن المهم في التحديد هو الحصر والدقة، أي كلما كان الموضوع محددًا بدقة كلما كانت الرؤية واضحة أمام الباحث.
- أن يكون الموضوع البحث ملبيا لرغبة الباحث، ومستجيبا لميوله الشخصية: لأنه إذا لم يكن هذا العلم محببا للباحث أو متماشيا مع قدراته وميوله فمن المحتمل أن يفشل فيه. لذا على الباحث أن يختار موضوع وفق ميوله الشخصية وأهدافه العلمية.⁹

2/ الباحث والبحث السوسولوجي:

1/2_ تعريف الباحث: يعرف الباحث المخطط والمنظم والمنفذ والموجه لمختلف مراحل البحث السوسولوجي وصولا إلى النتائج العلمية والمنطقية، ومنه على الباحث أن يتميز بعدة صفات وخصائص تؤهله لأن يصل إلى درجة التميز والأصالة في طرح مواضيعه ومناقشتها وإقناع الغير بوجهات نظره، ومن أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في الباحث الجيد.

2/2_ مفهوم البحث السوسولوجي: يعرف علماء الاجتماع البحث بأنه: “مجموعة العمليات المثيرة والمتشابهة والمتداخلة التي يقوم بها دارس أو أكثر في علم من العلوم بهدف جمع معلومات بشكل نظامي تنير ظاهرة قابلة للملاحظة بهدف شرحها وفهمها، إنه محاولة لاكتشاف المعرفة”.¹⁰

لا يختلف تعريف البحث السوسولوجي عن تعريف البحث العلمي إلا بتخصيص مواضيع الدراسة فهو يختص بالحياة الاجتماعية وظواهرها فهي موضوع دراساته. فيتبع نفس المسار الذي تتبعه البحوث العلمية الأخرى. فالبحث السوسولوجي ينطلق من ظاهرة اجتماعية يحيطها الغموض أو تحتاج إلى تفسير، وهو يتطلب إجراءات منهجية وخطة وتصميما محكمين.

3/2_ خطوات البحث السوسولوجي: هناك تباين كبير حول تحديد خطوات البحث السوسولوجي، إذ تختلف مراحل البحث السوسولوجي من باحث إلى آخر، فهناك من قسمها إلى سبعة مراحل مثل “رعمون كيني” تضمها ثلاثة أطوار رئيسية هي القطيعة والبناء والمعانة .

مرحلة القطيعة: وتضم ثلاث مراحل أساسية وهي سؤال الانطلاق، القراءات والاستقصاء والإشكالية.

مرحلة البناء: وفيه يقوم الباحث ببناء النموذج التحليلي لدراسته من فرضيات ومفاهيم.

مرحلة المعانة: وتضم هي الأخرى ثلاث مراحل وهي الملاحظة، تحليل المعطيات والنتائج.

وهناك من قسمها إلى ستة مراحل أساسية مثل “معن خليل عمر” وهي كالتالي:

— اختيار موضوع البحث.

— كتابة مشروع البحث (تصميم البحث وكيفية إجرائه).

— جمع المعلومات والبيانات النظرية والميدانية.

— تنظيم المعلومات المجمعة وتطبيق المنهج المتبع.

— تفسير وتحليل البيانات.

— الخلاصة والتوصيات.

1- أما “فضيل دليو” فقد قسمها إلى ثلاث مراحل أساسية تسير وفق خطوات محددة، هذه المراحل هي: الإطار النظري- الإطار التطبيقي- النتائج.¹¹

4/2_ معايير ومواصفات البحث السوسولوجي الجيد: إن اختيار موضوع البحث يتطلب من الباحث أن يكون دقيقا ومتأنيا عند الاختيار وأن يخضع هذا الاختيار إلى العديد من المعايير والمواصفات ليكون بحثا جيدا وأصيلا وهذه المعايير تتمثل في الآتي:

- أن يكون موضوع البحث جديداً: ولا نقصد هنا جديداً بمعنى أن لا يكون قد تم التطرق إلى دراسته نهائياً بل نقصد جديداً من حيث التناول ففي بعض الأحيان قد يكون موضوع البحث متناولاً من قبل ولكن تم تغيير بعض الجوانب منه كما أن للتغيير الاجتماعي دور كبير في تغيير نتائج البحوث من فترة إلى أخرى الأمر الذي يحتاج إلى إعادة دراسة الموضوع في ضوء المتغيرات الجديدة.
- أن يكون موضوع البحث ممكناً: يجب على الباحث أن يتأكد من أنه يستطيع البحث في الموضوع الذي اختاره من خلال توفر المادة العلمية والوقت والإمكانات المادية.
- أن يكون موضوع البحث مثمراً: وهو ما يمنح للباحث شرعية البحث في الموضوع فالبحث الذي لا يفيد المجتمع من خلال دراسته فلا يجدر البحث فيه.
- أن يكون موضوع البحث محدداً: وهنا تظهر كفاءة الباحث فكلما كان الموضوع محدداً بشكل دقيق وعلمي كلما سهلت على الباحث جميع الخطوات في بحثه.
- أن يكون موضوع البحث ملياً لرغبة الباحث وملياً لاهتمامه الشخصية: إن البحث العلمي هو معاشة للحياة اليومية للبحث وقد يستغرق منه سنوات عديدة فإذا لم يكن محباً للبحث وغير متمشياً مع قدراته وميوله فمن المحتمل جداً الفشل في انجازه، فإجبار الباحث على دراسة مواضيع معينة لا يحقق فائدة لا للباحث ولا للعلم.

1/3_ تعريف المقاربة

تعرف النظرية في معجم المصطلحات التربوية والنفسية على أنها عبارة عن "مجموعة من المفاهيم والتعريفات والافتراضات التي تعطينا نظرة منظمة لظاهرة ما عن طريق تحديد العلاقة المختلفة بين المتغيرات الخاصة بتلك الظاهرة وهذا بهدف تفسير تلك الظاهرة والتنبؤ بها مستقبلاً".

ويعرفها تالكوت بارسونز على أنها: "تشكل وحدة لمفاهيم مترابطة ومتسلسلة منطقياً وبنائياً، لها مرجعية امبريقية في الواقع تشكل فيها العلاقات بين الأجزاء إمكانية اشتقاق فرضيات جديدة أو تعميمات تعبر عن انتظامات امبريقية".

لكن رغم هذا التباين والاختلاف في تعريف النظرية بين رواد علم الاجتماع يمكننا تقديم تعريف شامل للنظرية في علم الاجتماع يلم بجميع أجزائها.

2- "النظرية هي نسق معرفي ومنطقي منظم يتضمن تصوراً للواقع الذي يتناوله يتكون هذا النسق من مفاهيم وافتراضات نظرية لها بعد امبريقية يمكنها من فهم الواقع وتقديم تفسيرات له." ¹²

ثالثاً: توظيف المقاربة السوسيولوجية:

يعدّ اصطلاح نظرية من المصطلحات الغامضة التي يصعب على العالم استعماله استعمالاً دقيقاً وصحيحاً في كتاباته وبحوثه فقد يشير الاصطلاح إلى النظام التجريدي الذي يجمع الأفكار ويوحدها ويضعها في قالب يجسد معنى مفاهيم محددة يطرحها العالم في سياق أبحاثه الأكاديمية.

عرّف علماء الاجتماع النظرية الاجتماعية عدة تعاريف منها:

- هي نسق منطقي استنباطي استقرائي يتكون من مفاهيم وتعريفات وافتراضات تعبر عن علاقات بين اثنين أو أكثر من أوجه الظاهرة ويمكن أن يشتق منها فرضيات كما يمكن التحقق من صحتها أو خطئها.
- أو هي مجموعة من المفاهيم التي تشكل من خلال العلاقات بينها منظوراً مفاهيمياً للواقع الاجتماعي، بعض هذه المفاهيم وصفية تحدد وجود المضمون، والبعض الآخر تحليلي، وتشير المفاهيم فيه إلى سمات وخصائص المضمون وتتألف النظرية من مجموعة

افتراضات يعبر كل منها عن علاقة بين سمتين أو أكثر بحيث تشكل هذه الافتراضات معاً نسقاً قابلاً للاستنباط وبحيث تكون المفاهيم والافتراضات قابلة للتحقق من صحتها أمبيريقياً.

- كما يمكن تعريفها بأنها نشاط عقلي يتضمن عملية تطوير أفكار تسمح للعالم تفسير الأحداث، ويتم بناء النظرية على أساس عناصر أساسية ومركبات تشمل المفاهيم، والمتغيرات، والمقولات، وبنيات مصممة ومهما اختلفت تعريفاتها لا بد أن تتضمن هذه المكونات الأربعة.
 - كما أنها نسق معرفي منطقي ومنظم يتضمن تصوراً للواقع الذي يتناوله، ويتكون من قضايا ومفاهيم وتعريفات وافتراضات ويوضح العلاقات بين الوقائع وانتظامها بطريقة دالة ويبين أسباب وظروف تشكل هذا الواقع وتبدله والبعد الامبريقي المتضمن مكونات الواقع ومعطياته بهدف تفسير هذا الواقع وفهمه والتنبؤ بما يمكن أن يكون عليه مستقبلاً.¹³ في حين يعرفها رالف دارندولف بأنها مجموعة قوانين مستخرجة من الواقع الاجتماعي يستخلص منها استنتاجات دقيقة لا تعكس خصوصية متميزة تتصف بها مجموعة بشرية صغيرة، لها قابلية في تفسير وشرح سلوك وتفكير الناس الذي بلوره واقعهم الحقيقي.¹⁴
 - ويمكن تعريف النظرية الاجتماعية بأنها نشاط عقلي نتاجه قراءات منطقية واستنباطات من الواقع الاجتماعي من خلال تفسير وتحليل التفاعلات الاجتماعية والأحداث والوقائع والظواهر وصياغتها بصيغة قانون مؤلف من مفاهيم وافتراضات مترابطة فيما بينها ترابطاً منطقياً ومعبراً عن وجهين أو أكثر من أوجه الظاهرة ومستندة على مرجعية أمبيريقية من الواقع تشكل فيها العلاقة بين المفاهيم والافتراضات إمكانية اشتقاق فرضيات لشرح وتفسير سلوك وتفكير الناس بواقعهم الحقيقي.
- والملاحظ أن هذه التعاريف تشترك في النقاط التالية:

- تشكل النظرية نسقاً معرفياً منظماً ومنطقياً.
- يتضمن هذا النسق تصوراً للواقع.
- تتكون من مفاهيم وتعريفات وافتراضات.
- توضح العلاقات بين الوقائع وانتظامها بطريقة دالة.
- تشمل بعداً أمبيريقياً يتضمن مكونات هذا الواقع ومعطياته.
- تهدف إلى تفسير هذا الواقع وفهمه وإمكانية التنبؤ بما يمكن أن يكون عليه.
- تفتح المجال أمام الباحثين للتوصل إلى افتراضات جديدة وتوسع آفاق المعرفة العلمية.

كخلاصة نستنتج مفهوم النظرية: من القواسم المشتركة للتعاريف أعلاه يمكن أن نخل مفهوم النظرية الاجتماعية أي كيف نفهمها، ماذا تعني العبارات والكلمات الواردة بالتعاريف فقد تكرر مصطلح (نسق) وهذا يعني مضمون مترابط من المعرفة، أما تكرار مصطلح (مفاهيم وافتراضات وتعريفات)، فالمفاهيم هي بيانات محددة في الواقع تشير إلى معناها، أما الافتراضات فهي العلاقة البنائية بين الوقائع وانتظامها في الواقع الاجتماعي، وهذه العلاقة يمكن التوصل إليها من النظريات والنماذج النظرية الموجودة أو من دراسات سابقة، كما يمكن أن يكون الواقع نفسه مصدراً لهذه الافتراضات، ثم توضح التعاريف أنّ النظرية يجب أن توضح أسباب وظروف تشكل الواقع وتبدله، هنا يجب أن تفضي النظرية عن مضمون يعبر عن مكونات الواقع ومعطياته، أما موضوع التنبؤ بما يمكن أن يكون عليه الواقع فهو موضوع نسبي في الواقع الاجتماعي.

رابعا: شروط النظرية

لكي تكون النظرية الاجتماعية علمية وقادرة على تفسير الظواهر والعلاقات والتغيرات والملازمات التي تتعلق بموضوعها ومادتها يجب أن تتوفر فيها الشروط التالية:

- 1 - يجب أن تكون أفكار ومبادئ ومفاهيم النظرية الاجتماعية مترابطة ومتكاملة بحيث تخلو مادتها من التناقض والتضارب.

- 2 - يجب أن تنفرد النظرية الاجتماعية بتفسير الحقائق التي تشتمل عليها أي لم تكن تلك الحقائق قد أخضعت لدراسة سابقة وتم الخروج بنظرية عن دراساتها.
- 3 - يجب أن تكون النظرية قادرة على تفسير جميع الظواهر والملابسات التي تهتم بدراساتها وتحليلها.
- 4 - ينبغي أن تكون صحة النظرية الاجتماعية نسبية وليس مطلقة.
- 5 - ينبغي أن تكون المادة العلمية للنظرية الاجتماعية مشتقة من طبيعة الواقع الاجتماعي الذي توجد فيه، وينبغي أن لا تكون معتمدة على أفكار فلسفية أو لاهوتية أو ذاتية لأنّ مثل هذه الأفكار لا تخضع لأساليب التحليل والتجريب والفحص الميداني الموضوعي.
- 6 - يجب أن تكون النظرية معبرة عن فكرة أو أفكار أو مبادئ واضحة ومركزة ومتسلسلة بشكل منتظم ومنطقي بعيداً عن التعقيد والارتباك.
- 7 - النظرية الاجتماعية الجيدة والصحيحة هي النظرية التي تتوصل إلى نفس الحقائق والاستنتاجات إذا تكررت دراستها وفحصها وإثباتاتها خلال فترات زمنية مختلفة وفي أماكن جغرافية مختلفة.¹⁵

خامساً: بناء النظرية

- اختلف علماء علم الاجتماع في تحديد عناصر ومكونات النظرية العلمية، انطلاقاً من اختلاف منطلقاتهم الفكرية والمقاربات المنهجية التي يتبنونها، فمثلاً يرى "غراهام كينلوك" G. C. Kinlock أن النظرية تتكون من العناصر التالية:
- نموذج قياس.
 - مجموعة مفاهيم.
 - قضايا تعبيرية (تتمثل في قضايا تقريرية وفروض)
 - مجموعة المناهج المستخدمة في اختبار العلاقات الافتراضية.
 - تحليل البيانات.
 - تقسيم النتائج.
 - عملية تقويم البناء الامبريقي والمنطقي للنظرية في ضوء تحليل البيانات وتفسيرها.
 - وهناك من يرى أن العناصر التي تبني عليها النظرية هي:
 - نموذج قياسي أساسي، أي نموذج العلاقات المسلم بها.
 - الصياغة الاجرائية للفروض والمتغيرات والمؤشرات.
 - مجموعة المناهج اعتماداً على النظرية ونوعية البيانات.
 - تحليل البيانات، المعالجة الاحصائية، الارتباط، اختبارات الدلالة.
 - تفسير البيانات، حدود البيانات.
 - تقويم النظرية أي كفاءتها النظرية والامبريقية.¹⁶
 - وعموماً يمكن استخلاص أن النظرية كبناء معرفي تتكون من العناصر التالية:
 - المتغيرات: العناصر والجزئيات التي يعمل الباحث على دراستها.
 - الفرضيات: العلاقات بين المتغيرات التي يسعى الباحث إلى البرهنة على صحتها أو خطئها.
 - المفاهيم: رموز اصطلاحية لمعنى في الواقع وتكون لغوية أو إجرائية.
 - القضايا: أي ترتيب وتنظيم المفاهيم في مقولات تحدد وجودها والعلاقة بينها.
 - النموذج: هو الطريقة التي يصوغ من خلالها الباحث النتائج توصل إليها من خلال البحث.

● **القانون:** وهو المرحلة النهائية والتراكمية فهو يعبر عن النتيجة النهائية للبحث وإبراز العلاقة بين المتغيرات.

سادسا: مفهوم المقاربة النظرية:

المقاربة النظرية هي كل بحث علمي له مرجعية أو خلفية نظرية يستند عليها، وبناء على هذه النظرية يستطيع التقدم في بحثه. يقصد بالمقاربة النظرية في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية باعتبارها مرادفا للاتجاه الفكري والمنحى (approach)، حيث تحمل دلالات عديدة يصب أغلبها في كونها:

- ذلك الاتجاه الفكري نحو موضوع أو موقف ما، وقد يكون هذا الاتجاه موضوعيا أو ذاتيا.
- كما يقصد بالمقاربة النظرية: وضع تصور للموضوع في قالب نظري ومنح الباحث الترسانة المفاهيمية التي يمكن من خلالها رسم مسار البحث وتفسير نتائج في ضوء مسلمات النظرية.
- كما تعرف المقاربة على أنها “طريقة ظنية للبحث، تهدف للإحاطة بموضوع ما فوق تصور معين والتحقق من المعرفة الناتجة دون الوصول إلى درجة الإدراك اليقيني، فهي ليست “جامعة مانعة” لا منهجيا ولا نظريا”¹⁷

سادسا: أهمية النظرية بالنسبة للبحث السوسيولوجي:

لا يزال الجدل قائما بين علماء الاجتماع حول العلاقة القائمة بين النظرية والبحث السوسيولوجي، فمنهم من أعطى أهمية للنظرية في كونها تحدد معالم البحث، وصياغة تصور علمي لدى الباحث حول موضوع دراسته انطلاقا من الإشكالية وصولا إلى النتائج، وهناك من أهل دور النظرية والفرضيات في البحث الاجتماعي، مستنديين في ذلك على أنها تحيد الباحث عن الموضوعية لأنه سيتأثر بالأحكام المسبقة.

غير أننا نرى أن لكل بحث سوسيولوجي له مرجعية أو خلفية نظرية يستند عليها، وبناء على هذه النظرية يستطيع الباحث أن يفهم موضوع دراسته ويتقدم في إنجاز بحثه. لهذا تتضح لنا علاقة النظرية بالبحث السوسيولوجي.

“فالمقاربة البحثية تعد طريقة بحث وتقنية أو نوع من تصاميم البحوث ومخرجاتها، وهي ليست مجرد أداة لتحليل البيانات فحسب، إنما تشمل جميع جوانب البحث ابتداء من اختيار سؤال البحث وانتهاء بالإجابة عنه”. إذ تعتبر المقاربة المنهجية للبحث الإطار التصوري أو طريقة تخمينية وعقلية يستعملها الباحث في دراسته ويعتمد عليها للاقترب إلى الموضوع المراد دراسته.”

ومنه فإن المقاربة هي عبارة عن الطريقة التي يستخدمها الباحث في تناول موضوع دراسته، انطلاقا من سند نظري، بمعنى أنه يتم دراسة موضوعه من خلال نظرية اجتماعية يراها مناسبة بغية فهم الموضوع.

“فكل باحث يعمل على تبني نظرية ما يشعر أنها تتلاءم مع موضوع دراسته وبذلك يتمكن من صياغة بحثه داخل قالب علمي دقيق”. ويكمن هدف المقاربة السوسيولوجية في البحث في الاقترب من الواقع، ومحاولة فهمه وتحليله موضوعيا.

تتميز النظرية بعدة خصائص تجعلها ذات أهمية كبيرة للبحث، حتى لو كانت مؤقتة، فهي تحتوي على مسلمات خاصة بالمتغيرات التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار، وهي تأتي في صفة توجيهات، ومنها نجد ما ذهب إليه “دوركيم”: “أنه يجب البحث عن سبب الحقيقة الاجتماعية بين الحقائق الاجتماعية الأخرى التي تسبقها.”

تساعد الخلفية النظرية الباحث على فهم الظاهرة أو المشكلة والعلاقة بين العوامل والمتغيرات يقول الباحث جان ليبيار قرانير “القطب النظري يقود طريقة وضع الافتراضات وبناء المفاهيم، وهو يقترح قواعد تفسير الوقائع وتحديد الحلول المعطية مؤقتا للمعضلات... وهو الذي يحدد حركة تحويل الأمر إلى مفهوم معين.” أما “موريس أنجرس Maurice Angers” فإنه يقول في كتابته “منهجية البحث في العلوم الإنسانية” أنه علينا الرجوع إلى نظرية لها علاقة بمشكلة بحثنا يسمح لنا بتوضيحها وتوجيهها... وتستخدم النظرية كدليل لإعداد البحوث نظرا إلى ما توفره من تأويلات عن الواقع... وهي تضمن توضيحا وتنظيما أوليا للمشكلة.”

وعليه تستخدم النظرية في البحث من أجل اقتراح إشكالية للدراسة، وطرح فرضيات بغية مناقشتها، بالإضافة إلى التزويد بنماذج مفاهيمية في تحديد الدراسة، ومساعدة الباحث على اختيار المتغيرات والبيانات المراد جمعها، كما تسهم النظرية في جعل نتائج البحث واضحة، وهكذا تتمكن النظرية الموظفة في البحث من تنظيم النتائج الامبريقية وشرح الظاهرة، وتوضيح المتغيرات وعلاقتها بعضها البعض. ومن خلال هذا الشرح نستنتج علاقة النظرية الاجتماعية بالبحث السوسيولوجي، في كونها تصور الواقع المراد دراسته، كما أنها تسهم في توليد الفرضيات وتمد الباحث بالأسس المنطقية التي يربط بها فرضيات دراسته. هذا على غرار مساهمتها في تفسير وفهم الظاهرة المدروسة.¹⁸

سابعاً: عوائق توظيف المقاربة في البحث السوسيولوجي:

إن البحث السوسيولوجي ليس مجرد كم هائل من المعلومات المتحصل عليها من الملاحظة أو من إجابات المبحوثين على أسئلة الاستمارة فقط، بل يجب أن تكون له خلفية نظرية، يعمل من خلالها على توضيح أبعاد المشكلة وتحديد وجهة منهجية البحث، والطالب يطلع على نظريات اجتماعية، ونفسية واقتصادية، “وعندما يقوم ببحث ميداني غالباً ما يقع في خطأ منهجي بقيامه بتقسيم البحث إلى قسمين نظري وميداني، دون الربط بينهما فيصبح البحث الميداني مجرد عمليات لجمع المعلومات بواسطة تقنيات البحث الميداني، والنظريات يمر عليها ويعتبرها مجرد نظريات لا واقعية تدرس لأنها جزء من البرنامج المقرر لا غير، أو يضعها كعنوان منفصل عن البحث بينما الأصل في توظيف النظرية هو مصاحبة البحث من بداية تحديد العنوان إلى غاية الوصول إلى النتائج.

فكل الكتب المتعلقة بالبحث العلمي التي تصادفنا لا تلقي الضوء بصفة خاصة على كيفية توظيف الخلفية النظرية في البحوث العلمية وإنما تشير إليها إشارة طفيفة أو قد تنعدم تماماً في بعض الكتب التي تهتم باستعراض مراحل البحث مباشرة والتطرق مثلاً إلى الإشكالية، خصائصها، صفاتها وأهدافها، إضافة إلى كيفية صياغة التساؤلات والفرضيات وغيرها، دون التلميح إلى كيفية توظيف النظريات في صياغة الإشكالية والفرضيات، ولا إلى الدور الكبير الذي تلعبه الخلفية النظرية في تحديد مسار البحث العلمي، مما يصعب كثيراً الأمر على الباحث الذي يعول على استخدامها في بحثه العلمي.

وعلى هذا الأساس سنحاول توضيح كيفية التوظيف للمقاربة النظرية في البحث السوسيولوجي.

على الباحث بعد اختياره لظاهرة ما، من أجل معالجتها، أن يكون على إطلاع عام بمختلف النظريات التي تطرقت إلى موضوع بحثه، وبعدها يقوم باختيار النظرية الأنسب لموضوعه عن طريق التطرق لمفاهيمها، حيث يكون أحد مفاهيم النظرية هو متغير من متغيرات الدراسة .

لنفترض أن عنوان الدراسة هو “الأصل الاجتماعي وعلاقته بطموح الأبناء” بعد ضبطنا لعنوان الدراسة نبحث عن مختلف النظريات التي تطرقت إلى مفهوم الأصل الاجتماعي، فنجد أن النظرية الثقافية لبيار بورديو هي التي وضعت مفهوم الأصل الاجتماعي كمفهوم سوسيولوجي يعبر عن مختلف رؤوس الأموال التي تمتلكها الأسرة، بعد تحديدنا للنظرية التي سيتم تبنيها في دراستنا سنحاول في كل خطوة من خطوات البحث السوسيولوجي توظيف هذه النظرية.

الإشكالية: بعد تحديد عنوان الدراسة يقوم الباحث بطرح الإشكالية بناء على تصورات النظرية ومسلّماتها، فيحاول طرح الظاهرة في إطار النظرية وذلك بتضمين أفكار الإشكالية ضمن أفكار رواد النظرية. وسنحاول طرح إشكالية مصغرة لموضوع “الأصل الاجتماعي وعلاقته بطموح الأبناء” يبين كيفية التوظيف.

“الأسرة هي إحدى المجالات التي يتفاعل فيها الأفراد من خلال جملة من الأفعال، ومختلف العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتكمن أهمية المجال الأسري بالنسبة للفرد في نقل المعايير والقيم و إستدماجها في ذاته لأداء أدواره في المجتمع والعمل على بناء مكانته الاجتماعية. فكل أسرة لها مكانتها الاجتماعية التي تسعى إلى إنتاجها أو إعادة إنتاجها في المجال الاجتماعي الذي تتفاعل فيه من خلال رؤوس أموالها المختلفة المادية منها والثقافية داخل مجال مكاني في ظل شبكة من العلاقات الاجتماعية”.¹⁹

خاتمة:

على الباحث السوسيولوجي الإطلاع على النظريات التي لها علاقة بموضوع دراسته، وأن يحاول أن يضع دراسته وفق قالب نظري مناسب لها، ويكون ذلك من بداية تحديد العنوان إلى نهاية دراسته، كما يجب أن تبرز مفاهيم المقاربة المتبناة في العنوان، وتظهر بصورة واضحة في الإشكالية من خلال تضمينها لأفكار رواد النظرية المتبناة، إذ تكتب الإشكالية بناءً على تصوراتها ومسلماتها. ويتم تحديد متغيرات الدراسة استناداً على المفاهيم النظرية، ثم أخيراً على الباحث أن يستند لمسلمات ومفاهيم النظرية التي تبناها في دراسته في التحليل السوسيولوجي للجانب الميداني، ومنه فالمقاربة النظرية ترافق الباحث من بداية اختبار الموضوع إلى آخر عنصر في دراسته.

الهوامش:

- ¹ محسن علي عطية (2009)، البحث العلمي في التربية - مناهجه - أدواته - وسائله الإحصائية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ص 23 .
- ² محسن علي عطية، مرجع نفسه، ص 24 .
- ³ عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان (2005)، كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، مكتبة الرشد، الرياض، ص 25.
- ⁴ منذر الضامن (2006)، أساسيات البحث العلمي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان .
- ⁵ رجاء وحيد دويدري (2000)، البحث العلمي - أساسياته النظرية وممارسة العلمية، دار الفكر، دمشق، ص 63.
- ⁶ منذر الضامن، ملّاجع سابق، ص ص 21-22.
- ⁷ عقيل حسين عقيل (2010)، خطوات البحث العلمي من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة، دار ابن الكثير، دمشق، ص 10.
- ⁸ جودة محفوظ (2007)، أساليب البحث العلمي في ميدان العلوم الادارية، دار زهران، عمان، ص 25.
- ⁹ سهام عميمور (2011-2012)، المكتبات الجامعية ودورها في تطوير البحث العلمي في ظل البيئة الالكترونية - دراسة ميدانية بالمكتبات الجامعية جيجل، رسالة ماجستير في علم المكتبات، جامعة منتوري - قسنطينة، ص 25.
- ¹⁰ إبراهيم عيسى عثمان، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، الأردن، 2008، ص 16.
- ¹¹ جمال معتوق، قراءة نقدية لواقع علم الاجتماع في الجزائر، مجلة دراسات اجتماعية وتربوية بجامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الرابع، 2009، ص ص 24-26.
- ¹² علي عبد الرزاق جلي، الاتجاهات السياسية في نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991، ص 33.
- ¹³ إبراهيم عيسى عثمان، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، الأردن، 2008، ص 16.
- ¹⁴ معن خليل عمر، مدخل علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، الأردن، 2009، ص 50.
- ¹⁵ إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بدون تاريخ، ص 640.
- ¹⁶ علي عبد الرزاق، مرجع سابق، ص ص 31-33.
- ¹⁷ يسمينة خدنة (2018)، البحث العلمي في الجامعة الجزائرية من خلال مذكرات تخرج طلبة الماجستير في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دراسة ميدانية ببعض جامعات الشرق الجزائري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة سطيف، الجزائر. ص 19.
- ¹⁸ البيج يمان سمير (2008)، البحث العلمي في الوطن العربي، الواقع والآفاق دراسة مقارنة، معهد الفتح الإسلامي، قسم الدراسات التخصصية، ص 67.
- ¹⁹ ياقوت، محمد مسعد (2005)، البحث العلمي العربي، معوقات وتحديات، مؤسسة منار العلمية للدراسات والبحوث الصحية، بحث منشور على الأنترنت، ص 89.